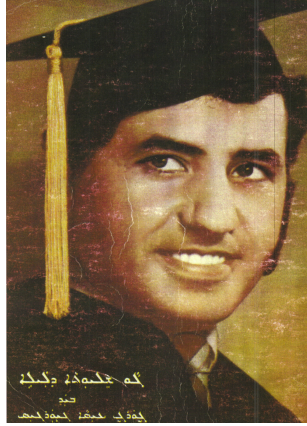


قصيدة أنت أيها النهر أيضاً!؟



للشاعر



جورج عيسى كيوركيس
(1938 - 1978)

ترجمة
ميخائيل ممو

الإهداء

الى روح الأديب الآشوري الراحل

جورج عيسى كيوركيس

الذي رحل في الوقت الذي كان يثري فيه

رياض الأدب الآشوري بنتاجه الفكري الغني

بمفرداته ومعانيه

من جوهر معاناته الشخصية

وما ارتسم في مخيلته من ذكريات الحكايات التي طرقت سمعه

وأحداث المآسي التي عايشها عن كذب

وانطبعت في عقله الباطن

ليحولها لوحات شعرية وقصصية ناطقة بمعانيها

عساني أكون قد أدبت خدمة متواضعة لرفيق الأدب الراحل

بنقل احدي قصائده لقراء العربية.

ميخائيل ممو

أنت أيها النهر أيضاً؟!*

(الى أمي التي روت لي هذا الحدث في العهد الذي هرب وتشتت أبناء أمتي في مطلع هذا القرن.)

مالك تزعق بأعلى صوتك ؟
ماذا لمحت؟ وماذا لاح في ذاكرتك ؟
ماذا تريد أن تفسر بلسانك الصغير؟
أتريد أن تسرد جُنَحَ وجرائم هذا العصر؟
تلك التي ألمّت بأبيك ،
قريتك الهادئة ،
بالرفاق
واخوتك جميعاً.
أتريد أن تحكي للبشرية التي دعتنا هنا
في هذه البرية
التي لا مخرج لها؟
آه ..
أية ساعة شاذة مرعبة هذه
في تاريخنا؟!
شبل الأسد يستنجد بالآخرين
حكاية الأم
التي تحاول أن تنقذ صغيرها.

إهدأ يا قلبي ، اهدأ.
أجل.. إهدأ قليلاً ،
لا يكن في حسابك
أن توقظ البشرية النائمة ،

لتلقَ التائب.

إهدأ.. ليس لنا من السامعين
الظلام الدامس يلفنا ،
وهذه الأرض المهجورة متروكة ،
والتراب الذي ما فتى حامياً من حر تموز،
يزيد من صلي أعقابي المكتوية.
لكن.. لحين أن نصل الى النهر البعيد ،

ولحين

أن يشرق في أفق حياتك اليوم الجديد
لا تهدأ

ارفع صوتك

إذا افتقدت السامعين ،

فلديك القمر والنجوم من السامعين المؤمنين
يتلون حكايتك المقتضبة الزكية ،
لساكني السماء السابعة ،
ولكل الأزمنة.

ارفع صوتك الطاهر، مدوياً ،

لينشرداه في كل جانب

ليسمعك النسر المدمى الجناحين ،

وتلك نسمة الحياة الباقية فيه

لتبدد المحن

ولييسط جناحيه محلقاً للعلی

لتكاثر الغربان السوداء ،

التي تنهش أجساد الصغار والشباب.

لم تسنح للنسر أن يحط على المرتفع
حيث يتواجد المتوحشون ليسلبوا البررة.

لا تهدأ

زعيقك يمنحني قوة وجرأة

لأكمل دربي

ولنجتاز النهر،

عندها نتخلص من يد القاتل،

ونبني بيتاً على أرض الحليب والعسل.

ازعق ودوّ ،

لا تهدأ

لتسمعك تعالب الصحارى المفترسة ،

ولتعرف أنك ذلك الشبل الجديد

تبحث عن الحياة ، وعن الحرية.

بوداع ذلك الليل ،

ورحيل الظلام

لمحت عيناها آخر نجم كان يتلألأ

متفادياً السماء

وأصابع التجلي البيضاء

تطول ممتدة

من خلف قمة الجبل الشامخ

موقعه الآن بعيداً جداً منها

حتام يبتعد ؟

هل الى الأبد ؟

شاعت الذكريات

أن تُشغلها بالماضي ،

لكن رقبتهما التعبى
من حمل وليدها ،
أدارت وجهها للأمام ،
وتخطت بتمهل
حيث المكان الذي يتلأأ فيه سطح النهر
تذكرت انها عطشى
والشبل ظمناً أيضاً
عدت بقفزات على رجليها المكتويتين،
ستقدم على العدو
حتى وان كانتا مصابتين بالعجز.

على حافة النهر الذي عمدت اجتيازه
بسط السكون بأجنحته الساحرة
وبزئارها القرمزي ، هدية حبيبها
شدت وليدها مُحكماً على ظهرها
رافعة أطراف ثيابها الممتدة
وتخطت في النهر
قاصدة الطرف الآخر
على أمل الخلاص من الموت.
استمرت تشد من جراحة الصغير
بينما هي أشد حاجة لجراحة القلب.
" لا تخف يا بني ،
النهر ليس عميقاً ،
واجتيازه سهل على الأرجل ،
دون السباحة
ولكن سأعوم اذا ما فاض عن حده

كوني سبحتُ كثيراً في صغري
في بحيرتنا الصغيرة جداً ،
بحيرتنا الراكنة بعيداً الآن.

لا تخف ،

يا ابتي ،

اقتفينا نصف الطريق

قليلاً جداً

ونصل ضفة النهر.

هناك سنبتعد من أيادي المفترسين

سنبني لنا كوخاً صغيراً ،

منسوجاً من خيوط أملنا، الرفيعة.

هناك سنحل سوية بسلام ،

ونعيش على الذكريات الجميلة

لقريتنا الهادئة. "

حينما أصبحت على مقربة

من الطرف الآخر

تحسست المياه تنساب

من ركبتيها

احتدمت من فرح النجاح

ومدت بيدها الكليلة على ظهرها

تتفحص طفلها

فتيبست كالخشبة

حينما تلمست أصابعها الزنار فارغاً

تحركت واستدارت

ها أمل حياتها

يختفي بعيداً في عباب السماء

هرعت بكل قواها

الى حافة النهر

صارخة...

وصراخها يشق عنان السماء

ولكن..

من سيوقف جريان النهر؟!

ألم تكن كافية كل ضحايا الذبائح ؟

ألم تكن كافية قرينتنا الخضراء الهادئة ؟

ألم يكن كافياً ذلك الحبيب الشاب

والملاكتين مرتا ومريم أيضاً ؟

إن نَمَا الظلم في الإنسان

فأي نهر تكون أنت

باعث الحياة ؟

من الذي استفزك لتخطف أملي ؟

أنت لست جزءاً من البحر الكبير

الذي كانت ترفرف عليه

روح الكل قبل الخليقة.

أَلَسْتَ عائشاً تحت ظل المقدس

لتقطف الآن ثمرة الأرملة ؟

حتى الطبيعة متمردة علينا ،

لا تمنحنا مكاناً لراحة البال!!

اقتفت الأم ذلك الدرب

الذي عليه استترت

حاملة رعب ذلك الحلم
الحلم الذي لا يفارقها
وبقلبها أمل اشراقه اليوم الآخر
اليوم الجديد ،
ولكن ...
أسيشرق ذلك اليوم !؟

* كتبت القصيدة باللغة الآشورية بتاريخ 14.5.1962 في العراق.



ولد الشاعر والقاص الآشوري جورج عيسى كيوركيس في الرابع من تشرين الأول 1938 في العراق ، وعمل موظفاً للحسابات لفترة معينة ، ثم حط به الرحال عام 1969 ليستقر في شيكاغو ويواصل دراسته الجامعية حاصلاً على شهادة البكالوريوس عام 1971 ، وليواصل فيما بعد دراسة الماجستير ، ولكن يد المنون اقتطفت هذه الثمرة من رياض الأدب عام 1978 وهو في العقد الرابع من عمره. بعد رحيله وبمعونة اختين له تم اختيار ما خطته يده من قصص قصيرة وقصائد مغناة وأشعار متفاوتة بغية إصدارها في مجموعة مطبوعة ضمت بين دفتيها ثلاثة أقسام مبنوية بعنوان " في سكون الليل " وذلك عام 1979 / مطبعة نينوى في شيكاغو. وبغية التعريف بكتابنا المحدثين آلينا على أنفسنا في الإقدام على اختيار هذه القصيدة التي تسرد حالة مأساوية مما عاناه أبناء شعبنا في فترات متفاوتة من ظلم وتشريد ومجاعة من أعداء الإنسانية ومحرفي رحمة وحقيقة الديانات السماوية السمحاء.

ميخائيل ممو